تجهيزات أدوات التصوير

لم يكن عمل المصور الإسلامي بالأمر الهين، بل كان عملاً شاقاً مضنياً، يستلزم منه وقتاً طويلاً، ويستنفذ مجهوداً عظيماً؛ إذا لم يكن مقصوراً على الرسم فقط بل كان عليه أن يحضر بنفسه أدواته كالفرشاة والألوان – والأصباغ والورق المزخرف وكل ما هو في حاجة إليه في عمله.

وقد اختص كل مصور بطريقته في تحضير هذه الأدوات، وكان يعتز بها ويعتبرها سراً من الأسرار لا يبوح لها لغيره إلا لتلاميذه لاعتقاده أنها أمثل طريقة وأحسن وسيلة يستطيع بها أن يكسب الألوان والأصباغ الرونق والبهاء.

وكان هناك نوعان من الألوان.. الأول هو الألوان المعدنية والثاني هو الألوان النباتية، وقد فضل المصورون المسلمون الألوان الأولى منها لأنها بطبيعتها معتمة غير شفافة. وتحتفظ باللون ودرجته ولا تمتزج بعضها ببعض مكونة ألواناً ثانوية. فإذا وضعنا لوناً أزرق فوق لون أصفر اختفى الأصفر وظل الأزرق أزرقاً. أما الألوان النباتية فنظراً لشفافيتها يمتزج اللونان ويكونان لوناً ثانوياً هو اللون الأخضر وهكذا.

ولم يستخدم المصور الألوان المائية إلا في أواخر عهود التصوير الإسلامي وتحت التأثير الأوربي، وكان هذا أحد أسباب اضمحلال التصوير الإسلامي.

وكانت هذه الألوان تحضر بأن تسحق المعادن إلى أن تصير تراباً ناعماً ويتم ذلك عادة بوساطة حجر صلد صنع خصيصاً لهذا الغرض، كما كانت تسحق أحياناً في هاون. وبعد ذلك تنخل بواسطة قماش رقيق جداً ثم تخلط بمحمل لزج وهو السائل الذي يستعين به المصور في تكوين الأصباغ بإضافة المعادن إليه. ويتوقف جمال الألوان على أمرين.. الأول دقة السحق والغربلة والثاني كمية المحمل المستعمل في عملية تكوين اللون.

وكان المحمل أنواعاً ثلاثة وهي الزلال، والغراء والصمغ العربي. والأول منها كان مفضلاً في العصور الأولى لدوام الألوان المجهزة به ومقاومتها لفعل الرطوبة، كما أن الصور الملونة به لا تتلف إذا ما صب الماء عليها، ولما كان الزلال لزجاً فإن المصور كان يضيف إليه الشب، ونظراً لسرعة فساده كان التجهيز يجري وقت الحاجة وعند اللزوم.

وقد حل الغراء محل الزلال وكان يضاف إليه عصير العنب أو محلول السكر ليمنع تشقق الصور إذا ما اقتصر على الغراء وحده. وتحتفظ الألوان المجهزة منه بلمعانها ولكن بدرجة أقل من الزلال.

أما الصمغ العربي فكان نادر الاستعمال؛ لأنه أقل احتمالاً بكثير منها. ومن الملاحظ أن الصبغة كان يختلف لونها من عصر إلى آخر بحسب المادة التي تحضر منها، وقد اعتمد على هذه الخاصية في التحقق من نسبة صور إلى العصور المختلفة اعتماداً على تحليل الألوان المستخدمة في تلوينها.

والمعروف أن اللون الأحمر كان يحضر من الزنجفر الذي يتحصل

عليه من عملية تسامي الكبريت والزئبق في بوتقة مقفلة أو من كبريتيد الزئبق المحلي، وكذلك من المغرة الحمراء وهي أكاسيد معدنية ترابية أو من أحمر الرصاص الناتج من تسخين الرصاص.

أما اللون الأزرق فقد استحضر من اللازورد والأسمانجوني Azurite وللحصول على اللون الأصفر استخدم أكسيد الرصاص الأصفر أو المغرة الصفراء. أما الأرجواني فكان من صدف سمك أرجواني اللون أو من كبريت وزرنيخ أصفر وهو المسمى بالرهج.

والأبيض من أبيض الرصاص أو الطباشير الرقيق. واللون البنفسجي الزاهي، والقرنفلي من مزيج من الأزرق والقرمز الهندي. والملك القرمزي من الحشرات الجافة من عائلة القرمز التي تعيش على أشجار البلوط الكثيرة الأشواك والتي تنبت حول البحر الأبيض المتوسط. وأخيراً الذهب للون الذهبي.

أما الفرشاه فكانت من شعر الحيوانات ففي إيران من شعر رقبة قط أبيض له من العمر شهران ويجب أن يكون طويل الشعر بصفة خاصة، وفي الهند استخدم شعر السنجاب، وكانت الفرشاه تعد بشكل خاص بحيث ينتهي طرفها بشعرة واحدة وذلك طبعاً ليتمكن من تلوين الخطوط الرفيعة.

وقد تفنن المصور في شكل الورق فكان الورق المرقط بالذهب والرخامي أو السحابي اللون وهو أنواع منه البسيط والممشط والمعقد والمزهر وذو النقوش الكتابية والرسوم وأخيراً المذهب.

وكان من الواجب أن يصقل الورق لئلا يمتص الألوان واستخدم لصقل الورق زلال البيض أو محلول مخفف من النشا. وكيفية ذلك أن يوضع المحلول على سطح الورق باستخدام فرشاه عريضة غير غليظة ثم يترك ليجف ثم توضع الورقة بعد ذلك على لوح مقوس من الخشب صنع خصيصاً لهذا الغرض، ثم تحك بوساطة المحار أو البلوط حتى تصير لامعة..